دراسات فنية
مخبر الفنون والدراسات الثقافية
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان
Algerian Scientific Journal Platform

المجلد:10 العدد: خاص(2024) ص160-171

تجليات التراث الشعبي في الخطاب الفيلمي – قراءة في بعض الأفلام الجزائرية

Manifestations of Folk Heritage in Movie Discourse

A Study of Some Algerian Films

مونة بن الشيخ

جامعة زيان عاشور بالجلفة

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2023/09/13
تاريخ القبول:
2023/10/11

الكلمات المفتاحية:
- ✓ التراث الشعبي:
- ✓ السينما الجزائرية:
- ✓ المثل الشعبي:
- ✓ الشعر الشعبي:

الملخص:

لعبت السينما دورا هاما في صياغة الوعي الثقافي والاجتماعي، وكانت منصة فريدة لاستعراض عناصر التراث الشعبي المتنوعة، ولهذا تسعى هذه الدراسة للبحث في طريقة تجسيد التراث الشعبي الذي ميز الثقافة الجزائرية ضمن الخطاب الفيلمي في الجزائر. وبالتالي إلقاء الضوء على الدور الذي يمكن أن تلعبه السينما في الحفاظ على التراث الشعبي وتقديمه بطريقة تجذب الجماهير الحديثة، من خلال خطاب فني يركز على الحفاظ على الذاكرة الثقافية والتاريخية وتعزيز التواصل بين الأجيال المختلفة.

Article info

Received
……..
Accepted
……..

Keywords:
- ✓ *folklore:*
- ✓ *Algerian cinema:*
- ✓ *Popular proverb:*
- ✓ *folk poetry:*

Abstract :

Cinema has played a significant role in shaping cultural and social awareness, serving as a unique platform to showcase the diverse elements of folk heritage. This study seeks to investigate the manner in which Algerian culture's distinctive folk heritage is embodied within the film discourse in Algeria. Consequently, it aims to highlight the role cinema can potentially play in preserving folk heritage in a way that attracts modern audiences. This is achieved through creating an artistic discourse focused on conserving cultural memory and historical narratives, thereby enhancing communication between different generations.

المؤلف المرسل: مونة بن الشيخ

1- مقدمة:

إنّ التراث الشعبي أو الفولكلور موروث متناقل عبر الأزمنة، يمثل خبرات سابقة، ويعتبر جزءا أساسي وجوهري فيا ثقافة مختلف شعوب العالم، وهو مقوم من مقومات الذات والحفاظ على الهوية، كما أنّه يمثل ذخيرة ورصيدا ثقافيا للمعتقدات والتقاليد وأسلوب الحياة اليومية للإنسان واهتماماته وانفعالاته.

ويعبر التراث الشعبي عن كل ما يتعلق بحياة الإنسان، بالجانب الثقافي والاجتماعي والمادي، وصل إلينا من الزمن الماضي القريب والبعيد، وتناقلا جيلا عن جيل، سواء أكان مكتوبا أو شفويا (وتار، 2000). والتراث الشعبي يتضمن كل الممارسات الشعبية السلوكية والطقسية، ويضم الفولكلور والأدب الشعبي الذي يتمثل في الإبداع والعطاء الجمعي للأجيال السابقة في مسارهم الحضاري (خورشيد، 1992)، وتمتد عبر الأجيال وتعبر عن الثقافة وتمثل الجزء الهام فيها، والهوية الشعبية التي تشمل مجموعة واسعة من الممارسات والتقاليد لمجتمع معين، ويساهم في الحفاظ على التراث الثقافي والتقاليد ونقلها إلى الأجيال الجديدة.

إشكالية الدراسة:

وفي هذه المداخلة المتسمة بتجليات التراث الشعبي في الخطاب الفيلمي، سوف نحاول عرض عناصر التراث الشعبي الجزائري والتي جاءت ضمن أفلام سينمائية جزائرية، ونحاول الإجابة عن بعض التساؤلات:

-كيف وظفت الأفلام السينمائية الجزائرية عناصر التراث الشعبي؟

- ما هي العناصر التراثية الأكثر توظيفا في السينما؟

- هل توظيف عناصر التراث الشعبي في الخطاب الفيلمي مجرد حشو أو يحمل رسائل أرادها المخرج؟

- لماذا تناقص توظيف التراث في الأفلام الحديثة؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في أهمية عملية توظيف عناصر التراث الشعبي في الأفلام السينمائية، والتي تمثل بالدرجة الأولى رؤية اجتماعية وثقافية ومعرفية، وما قدمته السينما الجزائرية من خلال توثيق لهذا الموروث.

أهداف الدراسة:

نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى تحقيق الآتي:

-تقديم رؤية حول عناصر التراث الشعبي في بعض الأفلام الجزائرية القديمة والحديثة، ومدى اهتمام المخرجين بالتراث الشعبي.

-توضيح أهمية تجلي عناصر التراث الشعبي في الخطابات الفيلمية وتقديمها للمشاهد، من خلال أهمية السينما وتأثيرها في الناس عامة.

منهج الدراسة:

تفرض علينا مشكلة البحث أن نستعين بالمنهج الوصف والتحليل من أجل وصف العناصر التي وظفها المخرج وتدل على التراث الشعبي في الفيلم الجزائري.

2- التراث الشعبي في السينما:

إنّ التراث الشعبي الجزائري يزخر بموروث عظيم يمثل الشعب الجزائري عبر الزمن، مثل الشعوب الأخرى في العالم الغربي والعربي، ولهذا اهتمت الرواية الجزائرية دائما بتوظيف هذا التراث الشعبي بكل عناصره، وذلك من أجل توثيق حقيقة الفرد الجزائري، وطريقة تفكيره وعيشته، من خلال تنوع مصادر التراث التي استمد منها مادته، فيعرفنا كاتب الرواية من خلال ذلك التوظيف بثقافة بلادنا، وثقافة أسلافنا، والذي يأتي بشكل عفوي لتأثر الأديب بالتراث الشعبي، وقد يكون هذا التراث مكونا من مكونات ثقافته، ولابد أن يظهر أثره في إبداعاته (بورايو، 1994).

ولم يقتصر حضور التراث الشعبي على الرواية، فإنّ السينما تعتبر قناة تواصل هامة بين الماضي والحاضر؛ حيث أنّ استحضار عناصر التراث في الأفلام السينمائية استمر إلى يومنا هذا منذ البدايات الأولى للسينما، وذلك عندما اقتبست أسطورة ساندريلا عام 1899م من طرف جورج ملييس.

فباعتبار السينما أداة من أدوات الثقافة والمعرفة، ووسيلة تعليمية هامة وفعالة في المجتمع، وهي جسر اتصال حضاري لأنها شعبوية وانتشارها قوي لاعتمادها على الصورة كلغة عالمية. وعلى غرار السينما العالمية والسينما العربية، كانت السينما الجزائرية ولا تزال، إلى يومنا هذا، توظف عناصر التراث الشعبي، حيث لا يكاد يخلو فيلم من مظاهر الثقافة الشعبية الجزائرية.

يعبر التراث الشعبي عن كل ما يتعلق بالإنسان، فهو ينبعث من الحياة اليومية للناس واهتماماتهم وانفعالاتهم، ويدل الفولكلور على كل ما يتصل بالمجتمع في عاداته وتقاليده وطقوسه في المناسبات المختلفة؛ زواج، وفاة، ختان، حصاد (بلحيا، 2000). ويعبر كذلك عن هويتهم الثقافية، ويتضمن التراث الشعبي؛ المعتقدات والطقوس الدينية، والأدب الشعبي (الأساطير، القصص، الشعر، الأمثال، الألغاز..)، والألعاب والفنون وكذلك اللباس التقليدي، والحلي، والأثاث والأدوات المنزلية وغيرها من الأشياء التي لها علاقة بالحياة اليومية.

ضمن هذا السياق، شكلت عناصر التراث الشعبي مادة خصبة ودسمة للأفلام السينمائية بالجزائر وخاصة القديمة منها، فقد استوعب المخرج الجزائري تراثه الشعبي الذي يسكن في أعماقه فترجمه في رؤيته الإخراجية، وجعله مادة فنية من خلال سرده كمتخيل ورمز وعلامات لرصد وإبراز واقع حقيقي.

وعليه سوف نحاول إدراج أهم العناصر والمظاهر التراثية كما صنفها الباحثون في مجال التراث الشعبي، وتحليلها ضمن بعض الخطابات الفيلمية الجزائرية.

3- عناصر التراث الشعبي في الخطاب الفيلمي الجزائري:

3-1- المثل الشعبي:

إنّ تداول المثل الشعبي بين الناس شيء بديهي، فهو يتميز بصيغته الأدبية حيث يعبر به الإنسان عن مواقف حياته، والمثل الشعبي يعتبر نتاج فكري لشعوب مختلفة، يتعلق بحياة الإنسان، لأنه خلاصة تجاربه وخبراته عبر الزمن و منذ القدم وتداول جيل بعد جيل، وعرفه التلي بن الشيخ بأنه: << جملة أو جملتين تعتمد على السجع وتستهدف الحكمة والموعظة .. إن المثل الشعبي تقطير أو تلخيص لغة أو حكاية ولا يمكن معرفته إلا بعد معرفة القصة أو الحكاية التي يعبر المثل عن مضمونها>> (التلي، 1990)

والمثل الشعبي فن من فنون الأدب الشعبي، ويعبر نوعا ما على نفسية وسلوك الأفراد كما يعرفنا على طريقة تفكيرهم وبلاغة تعبيرهم، ولكل مثل حكاية، وبعض الأمثلة لا يمكننا فهمها إلاّ إذا عرفنا الحكاية التي يعبر عنها، وإذا دققنا في حوارات الأفلام السينمائية الجزائرية، فلا نكاد نجد فيلم يخلو من الاستشهاد بالأمثال الشعبية.

وأهم مثال على ذلك فيلم يحمل عنوان مثل شعبي: **خوذ ما عطاك الله** والذي يعني أن الإنسان سيأخذ في الدنيا إلاّ ما كتبه الله له. وظف المخرج هذا المثل فجعله القضية الهامة في الفيلم حيث خدع بطل الفيلم الذي أراد أن يتزوج حيث عرض عليه فتاة في الخطبة ولكن في يوم الزفاف كانت أختها المريضة هي من تزوجها، فأوهموه أنها هي حظه وهي من أعطاها الله له فلا يعترض على ذلك.

أما الأمثال الأكثر تداولا في الأفلام الجزائرية:

فيلم ريح الجنوب للمخرج محمد سليم رياض سنة 1976:

***ناكلو فالقوت ونستناو فالموت *إذا شبعت الكرش تقول للراس غني *ما يدري بالمزود غير اللي تضرب بيه *نعرسو ونتمو من نساج الخيمة *الحياة كي السوق يقضي حاجتو منو ويرجع لمو *الشي إذا طال عذاب *الدنيا واسعة على الغافلين *واحد يقرا الستين واحد ماعندوش صورة يصلي بيها.**

فيلم خوذ ما عطاك الله إخراج الحاج رحيم عام 1982:

***عيش تسمع عيش تشوف *أخرجو تسرحو يالفيران لقطوطا راحو فاكونس *زواج ليلة تدبيرو عام *يعرف الربعين ويعرف الخمسة وربعين *ماتخلطيناش شعبان مع رمضان *اللي مكتوبة في الجبين ماينحوها اليدين *مكتوب حد ما يديه حد *الدايم الله *سعدي في لنساب واحد عمى ولاخر قصاب *عودك جراي**

فيلم القلعة إخراج محمد شويخ أنتاج 1988:

***راح ذاك الزمان وناسو وجا هذا الزمان بفاسو *كل من يتكلم الحق كسرولو راسو *مايقعد في الواد غير حجارو *كان جيتي جابك سعدي كان قعدتي مرتي عندي**

فيلم عايلة كي الناس إخراج عمار تريباش 1990:

***باين الشق على حواشيها *الشي لمليح يطول *الحر من غمزة *عشاق التاقة مايتلاقى *الدنيا دوارة *الشامي شامي والبغدادي بغدادي**

فيلم عطور الجزائر إخراج رشيد بن حاج في 2016:

***اللي يحبني مابنالي قصر واللي يكرهني ماحفرلي قبر**

فيلم ضياف بلا عرضة إخراج محمد حلمي 1998:

*** يعرفو لكلاب ويهربو للزنق *لي مايعرفكش يكسرك *الريح لي يجي يديك**

فيلم إمرأتان إخراج عمار تريباش 1992:

***الدعوة بلا ذنوب في راس مولاها تذوب *الصابر ينال**

فيلم مال وطني إخراج فطيمة بلحاج 2007:

***كل عقدة كاين لي يحلها *كي جي جي من شعرة وكي تروح تقطع السلاسل *منين يجيك العين ياماعون الطين * الميت مات ولعزا مافات * كليتي فلفل لكحل طلق لسانك ولبستي الصوف سخنو جنابك.**

نلاحظ أن المخرج الجزائري استعمل في كل مرة المثل في الفيلم ليوضح لنا من جهة ثقافة القرية التي تجري فيها أحداث الفيلم وتقاليدهم في التعامل مع بعض مما يعترضهم في الحياة، ومن جهة أخرى أراد أن يضفي عنصر الواقعية إلى الشخصيات، كما يساهم في تعزيز الهوية الثقافية للمجتمع المصور في الفيلم وإضفاء طابعا إقليميا خاصا يميزه عن الأفلام الأخرى، فكل الأمثلة جاءت هنا لوصف الحالة التي تضمنتها، كما نلاحظ أنّ بعض الأفلام كانت أكثر استعمالا للمثل، وذلك ليخبرنا المخرج على ارتباط شخوص القصة بالتراث وثقافتهم الشعبية في الكلام؛ مثل ما رأينا في فيلم خوذ ما عطاك الله، فرغم أحداثه التي تدور في مدينة العاصمة إلاّ أن استعمالهم للمثل الشعبي في كلامهم ولباسهم التقليدي جعلنا نفهم أنهم مرتبطين بثقافتهم الشعبية وتقاليدهم التي ورثوها عن أجدادهم.

وكذلك عبارات لكلام مأثور توارثها الأجيال من الجزائريين ولا تخلو كذلك الحوارات منها في الأفلام الجزائرية مثل:

***قص قرمط**: تقال هذه العبارة عند العزم عن التوقف عن الكلام أي بمعنى انتهى الكلام. ***تكبر وتفهم**: وتعني أن الموجه له الكلام صغير عن الموقف ولن تفهمه إلاّ بعد أن تملك خبرة في الحياة.

***الدايم ربي**: وتستعمل هذه العبارة للدلالة على تفاهة الدنيا أمام ملكوت الله، أو في حالة الوفاة.

***الدنيا دوارة**: تقال لتثبيط حالة الغرور عند الآخر.

***البركة في القليل**: للحث على القناعة بما كتب لك

***الحديث قياس**: أن ما قيل من حديث يطبق أو يقاس على مواقف أخرى مشابهة.

يحاول المخرج أو كاتب السيناريو من خلال استعمال المثل الشعبي أو الكلام المأثور الإقناع والإعانة في اتخاذ القرارات، حيث أنّ المثل يترك أثرا في نفس المتلقي يشبه وقع رنات موسيقية على العقل والقلب. أو يجعل المخرج الشخصية تعبر عن حالتها وما يجول بخاطرها أو عن مشكل من خلال وصفها عن طريق مثل شعبي أو كلام مأثور ليلخص للمشاهد الحالة؛ حيث أنّ المتلقي للمثل يكون عارفا بمعنى المثل بالمقابل لكي يفهم المعنى المقصود.

ومن جهة أخرى يعزز التواصل مع الجمهور بشكل أعمق مع القصة، ويطور من المعنى الحوار، كما أنه يعمل من خلال ذلك التوظيف على إبراز عناصر الثقافة أو السياق الثقافي للفيلم، ويساعد استخدام المثل الشعبي من طرف الشخصية على ظهورها كفرد متمرس ذو معرفة بالثقافة الشعبية مما يجعلها أكثر تعقيدا وعمقا، وفي غالب الأحيان، المخرج يستعمل المثل للتعبير عن الحكمة الشعبية التي يريد تكريسها وتوثيقها عبر الأجيال أو خلق نوع من النوستالجيا للفيلم، حيث يستدعي ذكريات وتقاليد الأوقات القديمة.

3-2- الشعر الشعبي:

الشعر الشعبي هو نوع من الأدب الشعري يعبر عن تجارب ومشاعر الشعب، وعادة ما يتميز ببساطته وقربه من اللغة العامية وثقافة الشعب. يتنوع الشعر الشعبي في موضوعاته وأشكاله ويعكس التقاليد والقيم والعادات الثقافية للمجتمعات التي ينشأ فيها، ويتميز عن غيره

من الشعر بأنه منظوم باللغة العامية، ويمكن أن يكون معروف أو مجهول المؤلف، وكان الناس يتناقلونه في المناسبات والتجمعات الشعبية شفاهة، وهو وليد الجماعة حيث أنه يعبر عن أفكار ومواقف ومصالح هذه الجماعة (بوسماحة، 2008)، وينظم في الأغراض نفسها للشعر الفصيح : المدح، الفخر، الهجاء، الغزل، الوصف.

وإذا أردنا أن نتحدث عن الشعر الشعبي في السينما الجزائرية، فإنه لا يمكننا إلاّ أن نذكر قصيدة حيزية، فبعد أن تغنى بها عدة فنانين أمثال عبد الحميد عبابسة ورابح درياسة وخليفي احمد، وكتبت رواية عنها صدرت عن دار النشر الحبر من طرف 14 مؤلف من بينهم اسماعيل يبرير، أخرجها للسينما واقتبسها المخرج محمد حازورلي لفيلم سينمائي بعنوان حيزية عام 1977م.

نظم الشاعر البدوي محمد بن الصغير بن قيطون عام 1878م (الأمين، 1991)قصيدة متكونة من 108 بيت حول حيزية، أبيات تجمع بين الغزل والرثاء وتحكي في طياتها عن العشق والحب الذي كان بين حيزية بنت أحمد بوعكاز بن الباي أحد أعيان وشيوخ قبيلة الذواودة، جميلة من جميلات بسكرة وابن عمها الفارس سعيد، قصة واقعية دارت أحداثها بالجنوب الشرقي الجزائري بمدينة بسكرة بقرية سيدي خالد (بورايو ع.، 1986).

وكان مطلعها:

عزوني ياملاح في رايس البنات * سكنت تحت اللحود ناري مقدية**

يا خي أنا ضرير بيا ما بيـــا * قلبي سافر مع الضامر حيزية**

يا حسراه على قبيل كنا في تاويل*كي نوار العطيل شاون نقضيا**

ظهر الحب الصامت بين حيزية وسعيد أثناء رحلات عائلة حيزية إلى البادية، أين كانت تقضي جل حياتها للمحافظة على مراعيها مصدر معيشتها (الأمين، 1991)، ولم يكن اللقاء بينهما إلا في وقت الترحال. كان سعيد دائما يترقبها عند خروجها، فتحدث عن مشيتها، ورنين خلخالها، وسواد شعرها، وطولها وعينيها وكل صغيرة وكبيرة فيها، وبعد زواجهما الذي رفض من والدها وأهل القرية بأربعين يوم توفيت حيزية فجأة، ماجعل سعيد يهيم في الصحراء ويلتقي ببن قيطون أين طلب منه أن يتغنى بقصيدة حول حكايته مع حيزية (بورايو ع.، 2005)، وهي ما وصلنا حيث بني عليها سيناريو الفيلم.

حاول المخرج أن يحكي بالصورة عن حيزية فاختار الممثلة لمياء بطوش التي ربما تحمل صفات حيزية كما وصفت في القصيدة، كما ترجم لنا الحزن والحب والهيام بين حيزية وسعيد في صور بليغة وقوية من خلال الصور واللقطات القريبة والقريبة جدا، التي توضح مشاعر البطلان وتقربهما من المشاهد.

ومن جهة أخرى نجد المخرج أو السيناريست يستشهد بالشعر ويوظف أبيات شعرية ضمن حوار الشخصيات:

في فيلم القلعة للمخرج محمد شويخ عام 1988م: دائما العم علي يلجأ لأبيات شعرية من الشعر الشعبي لإصلاح المواقف وإقناع خصومه:

فعندما أراد إصلاح الأمر بين نسيبه وزجته عندما تخاصما وتهدئة الأمر قال:

الخصلة في عدوك سبقها وأهمد

والعاقل ما يشد في الناس حسيفا

القاصد لملاح يعرف من يقصد...

وفي موقف آخر عندما تهجم أحد سكان القرية على ابنه من أجل إقناعه على التعقل:

العاجل ما قضى صوالح * وميزان لخفيف ما رتب**

الراي لا يكون صالح ***مولاه يصرف الذهب

وهذا ما يدل على ارتباط الشخصية بأصوله الثقافية، وتمتعه بالحكمة لحل المشاكل التي تعترضه، ومن جهة أخرى يترجم لنا أنّ الشخصية تحب الشعر الشعبي .

أما في فيلم إمرأتان فقد تضمن الشعر الشعبي من خلال غناء الشخصية البطلة:

يا انا بري وين * يا أنا بري وين *** يا صادق لمين**

يا جلفة يهديك * وجينا حواسين**

وفي فيلم خوذ ما عطاك الله يفتتح فيلمه بأبيات من الشعر الشعبي يتغنى بها شيخ في الحافلة:

ياخي جيل ياخي جيل

يا سبحان الله تاخير الزمان * من ذا الوقت الشين وجيهاص**

ماتلقاش الصح ولا طرف ما * من كثرة لخدع وفيه تفارص**

حرفتهم شينة يمشو بلختلان * ذاك يصدو له تقرأ عليه ترابص**

كأنّ المخرج يصف لنا حالة الناس في ذلك الوقت، تمهيدا للفيلم وما سيكتشفه المشاهد من أحداث بعد ذلك،وفي فيلم ليلى وأخواتها إخراج سيد على مزيف كذلك يبدأ الفيلم بغناء شعبي وعزف على آلة الكمان، يصف من خلال أبيات شعرية زمن وحالة الناس والمعاناة خاصة من الناحية المادية كتمهيد لأحداث فيلمه.

يا ربي يا خالق الجنة والنار * ياعالم الغيب والغايب واش فيه**

لوحنا في جناح السالم يا ستار * استر عبدك يالعالي وألطف بيه**

سمانة مالي في الخضار * ولاخور ضاني والدين عليه**

الزوالي معيشتو أتعاب ودمار * خبزو يابس مالقاش باش يسقيه**

هذا الشعر الشعبي يستخدم لغة جميلة وصوراً ملموسة ليقدم فكرة عامة عن أحوال الحياة في الفيلم والأجواء التي سيتم استكشافها، يمكن أن يكون وسيلة فنية رائعة لتقديم أجواء ومواضيع الفيلم وللإشارة إلى الأحداث التي سيتناولها، فيمكن تكييف الشعر حسب موضوع وأسلوب الفيلم والرسالة التي ترغب في توصيلها إلى الجمهور.

3-3-الموسيقى التقليدية:

جاءت الموسيقى التقليدية في الأفلام السينمائية من خلال عدة مظاهر أو أشكال يمكننا حصرها في الآتي:

أ- الموسيقى التصويرية:

هي نوع من الموسيقى تم تكوينها خصيصًا لمرافقة وتعزيز تجربة المشاهدين في الأعمال الفنية البصرية مثل الأفلام والمسلسلات التلفزيونية والألعاب الفيديو والمسرحيات والأعمال الدعائية. تهدف الموسيقى التصويرية إلى إيجاد جو معين، ونقل المشاهدين إلى عوالم القصة، فيمكن للموسيقى أن تكون مفيدة إلى حد كبير في خلق الجو والتوتر، فهي تؤدي مهمة درامية وتساعد في خلق تيمة يريد المخرج تجسيدها (بروفيريس، 2014)، وتعزيز المشاعر والمشاهد المهمة في الأعمال الفنية، وهي موسيقى مصاحبة لا يسمعها الممثل، وفي غالب الأحيان، تتخذ الأفلام التي تصور وقتا من الماضي أو أحداثا تتعلق بالريف أو القرية، العزف على الآلات التقليدية مثل الناي، في الموسيقى التصويرية لها والتي ترافق الأحداث من بداية الفيلم حتى نهايته ومن الأمثال على ذلك:

* فيلم حيزية، فيلم القلعة، فيلم مسيرة الرعاة؛ إخراج سيد علي مازيف عام 1975م، فيلم ريح الجنوب إخراج محمد سليم رياض 1967م، وفيلم الهدية الأخيرة إخراج غوتي بن ددوش، والذي صور الحياة الريفية لقرية ببوسعادة ومعاناتها من الألغام التي تركتها فرنسا.

* فيلم ماشاهو الذي اقتبسه لونيس حجاج للسينما عام 1995م، والناطق باللهجة الأمازيغية، والذي صور الريف القبائلي؛ حيث رافقت الأحداث موسيقى من التراث الأمازيغي. وفيلم التلة المنسية المقتبس من رواية مولود معمري إخراج عبد الرحمان بوقرموح عام 1997م أين جاءت الأحداث مرفوقة بغناء وموسيقى تقليدية أمازيغية.

* فيلم عطور الجزائر إخراج رشيد بن حاج عام 2015، استعمل أغنية من التراث الشعبي الجزائري رافقت الأحداث، كان يحاول المخرج أن يخبرنا بأنّ أبطال القصة يحنون إلى طفولتهم وزمنهم البريء من كل مايحدث في حاضرهم: ((ياحجنجن يامجنجن، وين كنت البارح.....))؛ وهي أغنية تغنى أثناء لعبة شعبية يلعبها الأطفال.

يتميز العمل الموسيقي التصويري بأنه يتم مزجه بعناية مع الصور والأحداث على الشاشة أو المسرح، ويعكس مشاعر الشخصيات والأوضاع والمواقف. يمكن أن يتضمن الموسيقى التصويرية مجموعة متنوعة من الآلات والأنماط الموسيقية حسب احتياجات العمل الفني، بشكل عام، تلعب الموسيقى التصويرية دورًا كبيرًا في إضفاء الجو والمشاعر على الأعمال الفنية وزيادة تأثيرها على الجمهور، وتجعل تلك الأعمال أكثر استمتاعًا وتأثيرًا.

ب- موسيقى ضمن الأحداث:

هي موسيقى يسمعها الممثل وتدخل ضمن الأحداث رافق العزف على الناي دائما الرعي بالغنم في الأفلام الجزائرية؛ فنجد دائما الراعي يتفنن في العزف أثناء استراحته مع أغنامه. وشاهدنا هذا في فيلم مسيرة الرعاة، عندما كان الابن الأصغر يرعى بأغنامه يعزف على الناي، وكذلك في فيلم ريح الجنوب أين كان الراعي رابح دائما يعزف أثناء الرعي وسط الطبيعة التي يستلهم منها تفننه في العزف، كما يعبر من خلال نغماته الحزينة عن حبه لابنة شيخ القرية أمام نافذة غرفتها.

يحاول المخرج الجزائري دائما أن يدمج بين الموسيقة التقليدية وأحداث الماضي ليرحل بأحاسيسنا إلى الماضي ومن أجل أن يضفي على العمل جمالية فنية خاصة من الماضي، مما يتوافق مع الغرض الدرامي لذلك.

3-4- العادات والتقاليد:

إن التراث الشعبي الجزائري يزخر بالكثير من العادات والتقاليد التي توارثت من جيل لأخر حتى وصلتنا اليوم بشكلها الحالي، والتي تختلف من منطقة لأخرى باختلاف الانتماءات القبلية وكذلك للاختلاف الجغرافي، بحكم أن مساحة الجزائر كبيرة جدا ويقدر البعد بين بعض مدن الشمال والجنوب مثلا آلاف الكيلومترات. وتمثل هذه العادات والتقاليد طقوس مقدسة، حيث أصبحت عادات راسخة في عقول الأجيال والمحافظة عليها ضروريا.

ولأهمية العادات والتقاليد في حياتنا اليومية، حاولت الأفلام السينمائية دائما تقديم مظاهر هذه العادات وإدماجها في الخطاب الفيلمي لتمرير رسائل من خلالها، والتعبير بها عن روح ودواخل المتلقي.

أ– تقاليد الزواج:

كانت تقاليد الزواج حاضرة بقوة في الأعمال السينمائية، وجاءت في العديد من الأفلام بشكل متكرر بكل خطواته من خطوبة حتى الزواج؛ حيث تقدم منصة لاستكشاف مجموعة متنوعة من القضايا الثقافية والاجتماعية والفردية، وتختلف الطرق المقدمة بها هذه التقاليد، حيث يركز كل مخرج على نقاط معينة تخدم الفيلم؛ فهناكمن يركز على تجهيز الأزياء المرتبطة بمراسيم الزواج، والآخر يعزز طاقة التفاؤل في مشهد الزواج فينقل صور تتعلق بالحفل والرقص والموسيقى، والبعض منهم يظهر ويبرز العلاقات الاجتماعية والأسرية بين العائلات والتقاليد والطقوس الدسنية من أجل أن يترجم القيم والعقائد الثقافية للشخوص.

في فيلم إمرأة لإبني قدم لنا المخرج صورا مفصلة عن الخطبة والتجهيز للعرس وطقوس الاستحمام للعريسين وكذا جهاز العروس والحنة ثم انتقال العروس لبيت زوجها، كان هذا الزواج تقليدي فلم يكن للفتاة والشاب حق القبول أو الرفض، أين أجبرتهما العائلتان عل هذه العلاقة والتي انتهت في آخر الفيلم بالطلاق.

أما فيلم خوذ ما عطاك الله، فقد صور لنا المخرج حاج رحيم نصب واحتيال عائلة الفتاة المخطوبة باستبدال العروس بأختها المريضة عقليا في قالب كوميدي ودرامي، وانهيار الزوج حين اكتشاف الخديعة بعد كل التجهيزات وحفل الزفاف الذي كان خلال معظم وقت الفيلم.

ب– تقاليد الدفن:

صور لنا محمد سليم رياض في فيلمه ريح الجنوب كل الخطوات التي يقوم بها أهل القرية بعد وفاة العجوز رحمة، وطريقة دفنها والدعاء لها، ثم أعدوا ما يسمى بعشاء الجنازة في ليلة الدفن وإقامة الفدية؛ أي جماعة من حفظة القرآن يتلون سور من القرآن صدقة على الميتة بمقابل مالي، ركز الفيلم على طقوس الدفن حيث خص لها وقت طويل على حساب الأحداث الأخرى، فأراد أن يرمز لموت الأصالة والتقاليد التي كانت تمثلها العجوز رحمة.

ج– اللباس التقليدي:

تتزين الأفلام الجزائرية دائما باللباس التقليدي، فالمخرج يستعين بالديكور الذي يقتضيه المكان والزمان في المشاهد المصورة، فسكان القرية وخاصة النساء والرجال يلبسون اللباس التقليدي والذي يميز منطقتهم، ففي فيلم ريح الجنوب كانوا يلبسون اللباس الخاص بقرى منطقة برج بوعريريج الواقعة شرق البلاد، أما فيلم الهدية الأخيرة إخراج غوتي بن ددوش عام 1983 فقد كان أهل القرية يلبسون اللباس

الخاص ببوسعادة والذي تمثل في الجبة النايلية بالنسبة للنساء، والبرنوس بالنسبة للرجال، أما في الأفلام العاصمية مثلا فنجد النساء يلبسن مايسمى بالسروال الجزائري أو الشلقة مع الشدة العاصمية والحيك عند الخروج. وفي فيلم الربوة المنسية للمخرج عبد الرحمان بوقرموح عام 1997، والناطق باللهجة القبائلية، يصور فيه كل ما يتعلق بتقاليد القبائل وتلبس النساء اللباس التقليدي القابائلي والمليء بالألوان الجميلة.

د- زيارة الأولياء والأضرحة:

إن ظاهرة زيارة الأضرحة عادة متوارثة من القدم ذهنيا وعقائديا من جيل إلى آخر، ومنتشرة بشكل كبير في المجتمعات العربية، وخاصة في المناطق الجزائرية، من القرى والأرياف، وتختلف طقوس الزيارة من منطقة إلى أخرى، إلاّ أنها في كل الحالات تهيمن على الثقافة الدينية لدى أفراد المجتمع.

وتشكل زيارة الأضرحة والأولياء بالنسبة للفرد المعتقد بهم متنفسا وخروجا من عالمه المادي البائس إلى عالم آخر حيث يسبح بروحه في الخيال هروبا من الحياة ومشاكلها، ومن جهة أخرى يعتقد أنّ التضرع لهذا الولي سوف يحقق له أمانيه ويدفع عنه البلاء ويجلب له النعم والشفاء (الميلي، 1982)، فهو بمثابة طاقة إيجابية لمواجهة معاناته، وأمان له ولعائلته.

وفي الأرياف الجزائرية كانت تنتشر هذه الذهنيات بشكل كبير، ويعتبر التبرك بالأولياء وزيارة الضريح وإقامة الوعدة أو الزردة، جزء هام من حياته، فتتحول إلى طقوس مقدسة لا يمكن إلغاؤها أو إغفالها، فيحتفلون ويمارسون طقوس الحضرة والرقص والغناء على آلات تقليدية مثل الناي والبندير، ويتضرعون للأولياء من خلال الدعاء بأسمائهم معتقدين أنهم أحياء بينهم يسمعونهم ويتوسطون لهم عند الله لقضاء حاجاتهم (القاسم، 2007).

في فيلم القلعة كان حضور هذه الظاهرة جليا، فقد صور لنا محمد شويخ أهل القرية يلجأون لضريح بالقرية في كل صغيرة وكبيرة، ومثل شيئا مهما في حياتهم؛ لكن المخرج أراد أن يضعنا أمام جهل أهل القرية وجعل مشاكلهم الاجتماعية والنفسية حلها بيد الولي الصالح الذي ينام تحت تلك القبة؛ فعندما ترفض فتاة الزواج من رجل يظنون أنها مريضة أو بها مس فيذهبون بها إلى الضريح لكن الولي لا يقضي حاجتهم وتستمر الفتاة في رفض الرجل. أما في فيلم إمرأة لإبني فتلجأ الأم للولي وتقوم بطقوس غريبة مع الدعاء والتضرع:

((راني مسلمة مكتفة، يا سيدي عيسى نخدمك طول عمري، ياسيدي عبد القادر... سيلت الدم وراح الهم...)) بعد ذبح ديك أسود، ليصور لنا مدى تمسك الأم بعادات سيئة وتخلفها مقارنة بزوجة ابنها المتعلمة والمتحررة والتي تكن على وفاق معها لأنها تزوجت زواجا تقليديا.

4- أسباب نقص توظيف التراث في السينما الحديثة:

تناقص استخدام التراث الشعبي في الأفلام الحديثة يمكن أن يعود إلى عدة أسباب، بما في ذلك:

* تغيير التوجهات الثقافية وتحديث المجتمع مع التطور التكنولوجي والاجتماعي المستمر، يميل الكثيرون إلى التركيز أكثر على الموضوعات الحديثة والمستقبلية بدلاً من الاعتماد على التراث الشعبي.

* تغيير أذواق الجمهور حيث أن الجمهور الحديث يميل أحيانًا إلى البحث عن قصص جديدة ومبتكرة تعكس تجاربهم الحالية بدلاً من التراث الشعبي.

* تنوع كبير في مصادر الإلهام والتأثير العالم فبفضل التكنولوجيا أصبح من الأسهل الآن للمبدعين الاطلاع على ثقافات وتقاليد من جميع أنحاء العالم، مما يوسع نطاق مصادر الإلهام المتاحة لهم.

* التجارة والتسويق ما يدفع المنتجين التركيز على الجمهور الأوسعف قد يتجنب صناع الأفلام التركيز على التراث الشعبي لجذب جمهور أكبر وأكثر تنوعًا، بما في ذلك الجمهور الدولي.

* متطلبات سوق السينما الحديثة التنافسية، حيث يميل الناس إلى اختيار الأفلام التي تقدم تجارب فريدة ومثيرة، مما يقلل من الاهتمام بالموضوعات التقليدية أو التراثية.

* التحديات التي تواجه المخرج في تقديم التراث الشعبي والصعوبة في تقديم القصص التراثية بطريقة معاصرة فقد يجد صعوبة في مواكبة التوجهات الحديثة أثناء الحفاظ على جذور القصص التراثية.

* مخاوف من التقييد الثقافي لذا يتجنب بعض المخرجين استخدام التراث الشعبي خوفًا من الوقوع في تقديم تصوير غير دقيق أو تقليدي لثقافة معينة.

رغم هذا، ما زال هناك العديد من الأفلام التي تستمد إلهامها من التراث الشعبي وتنجح في تقديمه بطريقة جديدة ومبتكرة، مما يبرهن على أن التراث الشعبي لا يزال له مكان في السينما الحديثة.

5- الخاتمة:

في ختام هذ البحث، نرى أن التراث الشعبي يظل مستودعاً غنياً للثقافة والتاريخ، ويوفر مجموعة من العناصر التي يمكن استغلالها في الأفلام السينمائية لإغناء السرد وإعطاء الأعمال جاذبية وفنية جمالية خاصة؛ المثل الشعبي والشعر الشعبي يكتسبان أهمية خاصة في هذا السياق حيث يمكن أن يعطيان النصوص مستوى أعمق من المعنى والتعبير، بينما تسمح الموسيقى التقليدية بإضافة بعد سمعي يعزز من تجربة المشاهد.

العادات والتقاليد، بدورها، تفتح أفقاً واسعاً أمام المخرجين لاستكشاف السياقات الثقافية بشكل أعمق، حيث يمكن أن يتم تصويرها من خلال لباس تقليدي أو عبر استعراض عادات متعلقة بالزواج أو الدفن، زيادة على ذلك، يمكن لطقوس زيارة الأولياء أن تقدم لقطات بصرية غنية ومليئة بالتفاصيل التي تستطيع أن تنقل المشاهد إلى عوالم أخرى تمامًا.

عبر التوظيف الذكي والمدروس لهذه العناصر، يمكن للأفلام السينمائية أن تبني جسوراً بين الماضي والحاضر، وتقدم نظرة عميقة ومحترمة للتراث الشعبي، مما يعزز من التواصل الثقافي ويسمح بتمجيد القيم والعادات والتقاليد التي تكون جزءًا لا يتجزأ من الهوية الثقافية لمجتمع معين. في نهاية المطاف، يسهم هذا في إثراء النسيج الثقافي للأفلام وتقديم أعمال فنية تنقل لنا صدق التجربة الإنسانية بكل تعقيدها وجمالها.

5. قائمة المراجع: طريقة (APA)

أحمد الأمين. (1991). حيزية الملحمة الجزائرية. الجزائر: دار المصباح.

الطاهر بلحيا. (2000). التراث الشعبي في الرواية الجزائرية. الجزائر: منشورات التبيين الجاحظية.

بن الشيخ، التلي. (1990). منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

سعد الله أبو القاسم. (2007). تاريخ الجزائر الثقافي. الجزائر: دار البصائر.

ع الحميد، بورايو. (2005). القصص والتاريخ. الجزائر: المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ .CNRPAH

عبد الحميد بورايو. (1994). منطق السرد- دراسة في القصة الجزائرية الحديثة. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

عبد الحميد بوسماحة. (2008). الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة. الجزائر: دار السبيل.

عبد الحميد، بورايو. (1986). القصص الشعبي في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

فاروق خورشيد. (1992). الموروث الشعبي (المجلد 1). بيروت- لبنان: دار الشروق.

مبارك بن محمد الميلي. (1982). رسالة الشرك ومظاهره (المجلد 2). الجزائر: دار البعث للطباعة والنشر.

محمد رياض وتار. (2000). توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة. دمشق-سوريا: اتحاد كتاب العرب.

نيكولاس تي بروفيريس. (2014). أساسيات الإخراج السينمائي، شاهد فيلمك قبل تصويره. (أحمد يوسف، المترجمون) القاهرة-مصر: المركز القومي للترجمة.